مدخل إلى الثقافة العربية

حدود المصطلح :

لعل شيوع المصطلح يجعله من أكثر المصطلحات صعوبة على التعريف ، ففي حين يشير المصدر اللغوي و المفهوم المتبادر للذهن ـ في إطاره العربي ـ إلى حالة الفرد المرتبطة بمستواه العلمي ؛ فإن استخدام هذا المصطلح كمقابل لمصطلح (culture) في اللغات الأوروبية تجعله يقابل حالة اجتماعية أكثر منها حالة فردية ، فوفق المعنى الغربي :

تكون الثقافة هي مجموعة العادات والقيم والتقاليد التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشري بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه أو مستوى حضارته وعمرانه، ويستخدم المصطلح وفق هذا المفهوم للإشارة إلى ثقافة المجتمعات الإنسانية ؛ وهي سلوك حياة يميز كل مجموعة بشرية عن مجموعة أخرى .

و يقصد بالثقافة في المفهوم الشرقي: الكيان المادي والروحي لمجتمع من المجتمعات ويدخل في ذلك التراث واللغة والدين وعادات المجتمع ونشاطه الحضري.

ويدل المصطلح في العصر الحديث على الرقي الفكري والأدبي و الاجتماعي للأفراد والجماعات.

مفهوم الثقافة العربية الاسلامية:

يرتبط مفهوم الثقافة أساسا ارتباطا وثيقا بدراسة المجتمع ،لا سيما العلوم الإنسانية وعلم الإجتماع ،وتحدد الثقافة العربية بطبيعة الحياة الاجتماعية والفكرية عند العرب ، وهي بذلك تساهم في توضيح مكونات المجتمع العربي داخل منظومة متكاملة من الأسس التي تعمل على تعزيز دور اللغة العربية في تحديد الهوية لدى المجتمع العربي.

وتتأسس الثقافة العربية على جملة المقومات التي تميزها عن الثقافة الغربية ، وهي ممثلة في القيم والعادات والتقاليد والأعراف والعقائد.

وتعد الثقافة العربية من أغنى الثقافات وأهمها ؛ حيث ترسخت جذورها قبل الإسلام في لغة قوية ، تكلم بها العربي وأنشد شعرا تجلت فيه صور الحياة العربية القديمة .

و اللغة هي تعبير عما تتضمنه أية ثقافة من إمكانات و قدرات إبداعية ، و هو ما كانت عليه اللغة العربية في العصور الوسطى ، و ذلك راجع لسببين رئيسيين : الأول كونها لغة القرآن الكريم و تتضمن التعاليم الاسلامية التي تنظم حياة المسلمين و أمور دنياهم ، فانتشرت في كل الربوع التي اعتنق فيها الاسلام . و يعود السبب الثاني لكونها لغة العلم في العصر الوسيط ، فبعد ترجمة العلوم اليونانية للغة العربية شهد العالم الاسلامي تطورا لافتا في العديد من العلوم المعروفة في تلك الفترة ، و استطاع المسلمون أخذ زمام المبادرة في العلم لفترة امتدت بضعة قرون.

الثقافة العربية في المنظور الغربي:

أحدثت الثقافة العربية أعظم أثر في الحضارة العالمية ؛ كونها تمتاز بنظرة شمولية و بخطاب إنساني راقي، وذلك انطلاقا من مخزونها التراثي الراسخ .

فرغم الحظور التاريخي لعديد الثقافات التي سبقت الثقافة العربية ؛ كالثقافة المصرية القديمة و ثقافة بلاد ما بين النهرين والثقافة الهندية القديمة و الثقافة الفارسية والفينيقية ، ورغم التفاعل بين تلك الثقافات و الذي أدى إلى إثراء المجتمع الإنساني على صعيد المناهج والأدب والفلسفة والشعر والتاريخ ؛ وهذا ما يستدل به للرأي القائل بأن دور الثقافات وتطورها وتأثيرها خلال عصور التاريخ مرتطبة بعملية التفاعل والتواصل التي كانت تربطها.

و مع كل هذا أخذت الثقافة العربية الإسلامية موقعا عظيما في عالم يسوده انتشار ثقافات لها خصوصيتها و مميزاتها ، و بدأ الدور الحضاري للثقافة العربية يتأسس وفق قاعدة سليمة تحتكم إلى قوة اللغة العربية .

و على هذا يمكننا القول أن المؤلفات العربية القديمة شقت طريق البحث العلمي الذي كان له الفضل الكبير في قيادة أوروبا إلى آفاق حضارتها المدنية، فقد

وضعتها في أول طريق التقدم الحضاري و زودتها بأدوات النجاح للوصول إلى الغايات الحضارية.

كما حفلت مدن الأندلس قرطبة و اشبيلية و غرناطة باستقبال العلماء المسيحيين من أنحاء العالم و اوروبا لتلقي العلم في هذه الحواضر الإسلامية .

و أشاد الإسباني (جوان اندريس) بفضل العرب المسلمين على الحضارة الأوروبية و ثقافة عصر النهضة ، إذ إنه نشر بالإيطالية في بارما (1782-1799م) كتابا جليلا في سبعة مجلدات تحت عنوان " أصول كل الآداب و تطورها و أحوالها الراهنة " وفيه أكد أن النهضة التي قامت في اوروبا في كل ميادين العلوم و الفنون و الآداب و الصناعات مردها إلى ما ورثته عن حضارة العرب المسلمين.

خصوصية الثقافة العربية :

تتمثل الخصوصية العربية بداية في المنعرج التاريخي الذي ميز الثقافة العربية القديمة والتي أخذت تكتسب صفات جديدة و تحمل ملامح العقيدة الإسلامية،التي انطلقت من بقعة جغرافية نحو ربوع كثيرة تحمل ثقافات أخرى.

فقد خرج العربي المسلم من الجزيرة العربية حاملا القرآن الكريم ليفتح الأمصار و ليحقق الوحدة التي دعت إليها هذه العقيدة ،فكان مشروع الثقافة العربية الإسلامية منذ البداية مشروعا رائدا في النظرية الفكرية العربية،فقد دعت إلى الحوار بين الثقافات (المثاقفة) على مر العصور و يعتبر الحوار جزء من الكيان الفطري للثقافة العربية و الإسلامية.

يراجع في هذا الصدد:

عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي.

أحمد الطاهر مكي :دراسة في مصادر الأدب .

كارل بروكلمان:تاريخ الأدب العربي.